مثلما هو علامة على الممات. وهي على يقين أن الموت هو السبب في كل الابتسامات مثلما أنه سبب للدموع. ولذا فإنها رحبت بضيفها من أعماق قلبها وأبلغته أنها تكن له محبة خاصة في كل حياتها، مع بزوغ بذورها، ومع فشل زراعتها، مع ميلاد أطفالها ومع مماتهم. ولذا فإنها تقول له إنه صديق حميم لها وأنها تعرفه جيداً. لقد تسبب لها بدموع كثيرة وجعلها ترقص من أعماق روحها. ولذا فإنها تدعو ضيفها إلى الرقص معها حيث تعرف كل حركات الرقصة وتجيدها[16].

تعرف المرأة الألم ورموز الألم والعذاب ولذا فإنها ترحب به وبرموزه. وفي هذه الحكاية ترحيب لا مرية فيه. وعن هذا الترحيب تتأسس علاقة راسخة ما بين الحزن والمرأة. وفي ذلك تقول عائشة التيمورية:[17]

إني ألفت الحزن حتى إنني لو غاب عني ساءني التأخيرُ

وتمر نازك الملائكة في صراع طويل مع الحزن ينتهي بأن تغني له[18] وترحب به مثلما رحبت العجوز بضيفها (الموت). ومثلما كان وجود الخنساء في اللغة ليس سوى احتفال بالحزن وحياة مع الألم. ومع بروز المرأة العصرية الكاتبة برز الحزن رفيقاً لها وعلامة على حياتها. ويقرر أحد الباحثين قائلاً: (في مراجعة شاملة للأدب النسوي المعاصر منذ فجره حتى أوائل الحرب العالمية الثانية يتبدى طابع حزين منقبض يغمر أدب المرأة ويكاد يصبغه بصورة مظلمة قاتمة).[19]

---

(16) انظر: C.P. Estes: Women Who run with the Wolves. 162 Rider, London 1993.

(17) الجندي: أدب المرأة العربية 123 مطبعة الرسالة، القاهرة د.ت.

(18) نازك الملائكة: شجرة القمر 52 (خمس أغان للألم)، دار العلم للملايين، بيروت 1968.

(19) الجندي: أدب المرأة العربية 121 وقارن ص 132.